
دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

الفصل الثامن: منهجه.

يمكن أن نقسم الكلام على منهج الجندي إلى عدة محاور.

المحور الأول: منهجه في عرض مادته:

إن الناظـــر في الإقليد يظهر له ومن الوهلة الأولى الأسلوب الذي درج عليه الجَندي في شرحه للمفصل، والذي يقوم على صورة حوار بين متكلم ومخاطب، فيبدأ حديثه بعرض القضـــية عرضـــا أوليًا ثم يبدأ بذكر الخلافات التي اعترتها، مُنَوها إلى أصحابها في بعض الأحـــيان، ثـــم يذكر ما لم ير صوابَه من الآراء، ويغلِّطَها وأحيانا بعبارات قاسية مثل ردوده علـــى آراء الكوفيـــين، وهـــي مبثوثة بكثرة في الرسالة، ثم يذكر رأيه أو ما رآه صوابا من الآراء التي قيلت في المسألة التي يعرضها.

وأحيانا يعرض لنا المسألة على هيئة سؤال فيقول : فإن قلت، ويعرض سؤاله بأسلوب فيه من التشويق ما يجعل القارئ ينتظر الجواب بشغف، ثم يجيب عليه بقوله : قلت، ويسرد جـــوابه لـــيجد الأسماع مستعدة لقبوله، ويظهر لنا في كثير من المواضع مدى تأثره ببعض ســـابقيه من العلماء حين يذكر آراءهم بذكر أسمائهم أحيانا كقوله: قال سيبويه، وقال المبرد، أو: والحق ما أشار إليه المحقق عبد القاهر، يقصد الجرجاني، وأحيانا يذكر الرأي ولا ينسبه إلى صاحبه، في كثير من المواضع التي استأنس فيها برأي من سبقه من شراح المفصل مثل ابن الحاجب في الإيضاح، وابن يعيش.

المحور الثاني بلاغته:

كان الإمام الجندي يتمتع بثروة لغوية وغزارة مادة، وما أتى به من عبارات وجمل وتراكيب يظهر القَدَر الذي كان عليه من سعة الاطلاع. فنراه في عديد المواقف يأتي بالسجع والمقابلة والتشبيه مستعملا كل نوع فيما يناسبه من سياق الكلام والمقام.

فهـــو فـــي مقدمته يأتي لنا بسجع جميل ويطول فيه مما يدل على قدرته الفائقة بحيث يقول: إياه أحمد على نعم تهللت وجوهها الصباح، واقتربيت مباسمها المتكشفة عن أقاح، ولا افترار الصباح.

ثــم يغير وثيرة سجعه ويقول : المعجز بخلوص اللهجة لدهماء المصاقع، محمد وأله وصحبه حماة الدّين وكماة الوقائع.

ثــم ينــتقل إلـــى حرف آخر ويقول: أوجه من التحيات ما يجتنى به جلاة النجاة في الجـــنات. ثم ينتقل إلى نوع آخر فيقول قد لعمري حسنت آثار، فياطوبى لهم ثماره. ثم يختم خطبته بمزج بين السجع والتضمين من القرآن الكريم، فالصورة سجع والمعنى تضمين، وهو قوله: والويل لمن تعاطى تأويل كلام الله الذي لا يأتيه الباطل، من بين يديه ولا من خلفه وهو فـــي ذلك راجل.[1] فبلاغته حاضرة معه في كل موقف يتعرض له، فيتكلم فيه بما يناسبه، فإن كـــان مـــدحا استعار له من ألفاظ المدح ما يراه جزاء له، مثل قوله معقبا على قول ارتضاه: والحق أحق أن يتبع، سالكا التضمين من قوله تعالى: ﴿فَالْحَقُّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعْ ﴾ [2]؟.

وقـــال فـــي مناسبة أخرى مقارنا بين رأيين ومادحا أحدهما: ولكن أين الحصى بالقيعان من فرائد بنحور الحسان[3].

وأمـــا إن كـــان ما تعرض له من الآراء لم يرق له، ففي بعض الأحيان يقسو عليه في الحكم باستعمال عبارات صريحة قاسية، وأحيانا يأخذ له من خزانته الشعرية ما يعبر به عن مبتغاه بلسان غيره في صورة بلاغية رائعه، ومثل هذا استشهاده بيت أبي الفراس الحمداني:-

وَرُبَّ كَلامٍ مَرَّ فَوقَ مَسامِعي   كَما طَنَّ في لَوحِ الهَجيرِ ذُبابُ

على رأي لم يجزه[4].

وقـــال في موضع آخر يصف من لم يفهم قوله بعد أن أوفاه شرحا، قال: فأما البليد فلا ينفعه التطويل وإن تلونا عليه التوراة والإنجيل.[5] وهكذا تتضح لنا بعضا من المعالم البلاغية لمنهج الجندي.

---

[1] التضمين مع الآية/ 41 من سورة فصلت، تنظر الرسالة في المقدمة ص38.

[2] سورة يونس /35.

[3] تنظر الرساله ص 164.

[4] / تنظر الرسالة ص195.

[5] /تنظر الرسالة ص 165.

المحور: الثالث التعليل.

سـلك الجـندي في شرحه لكتاب المفصل مسلك التعليل بدرجة كبيرة جدّا، فهو لم يتـرك ظاهـرة لغوية، ولا قضية نحوية إلا وقد صال فيها وجال بالشرح الموسع والتحليل والتعليل الذي بالغ فيه أحيانا حتى صار يغلب على كتابه أنه كتاب تعليل لا شرح.

ولعـل هذا الأمر كان قد فرض نفسه؛ لأن العرب كانوا يتكلمون اللغة بالسليقة، ولا علم لهم بعللهـا، وهـذا كـان زمـن تألـيف سيبويه لكتابه، والمبرد لمقتضبه، أما عن زمن تأليف الزمخشـري لمفصـله فـيُعد مـن العصـور التي تفشى فيها اللحن، إلا أن قوة اللغة عند الزمخشري جعلت كتابه يظهر بصورة سابقَيْه، الأمر الذي جعل الجندي وهو في مرتبة وسط بـين عصره وبين مستوى المفصل أن يجتهد في توضيح كل قضية مبينا أسبابها وأصولها، فوجد التعليل خير وسيلة لإقناع من غابت عنهم أصول هذه اللغة ومتانتها.

المحور: الرابع تناوله لشواهده.

شواهد الجندي تتمثل في الشواهد القرآنية، والحديث الشريف، والشواهد الشعرية، والأمثال.

أولا الشواهد القرآنية:

كـان استشهاد الجندي بالقرآن الكريم في إثبات ما يريد إثباته السمة البارزة له في معالجـة قضـاياه، فـنجده يضع الآية في موضعها من سياق كلامه منبها على ملاءمتها لما يقصده من الاستشهاد بها، فاتخذ بذلك عدة سمات.

السمة الأولى: الإعجاز القرآني

فمن أمثلة ذلك: قوله في مقدمته مستشهدا على الاختصار قوله: ومن أمثلة لاختصار قـراءة مـن قرأ: ﴿ يُسَبَّحُ لَهُ بِالْغُدُوِّ وَاءَلْآصَالِ رِجَالٌ ﴾[1] بفتح الباء، أي يسبِّح له بكسرها، وهـو جـواب مـن يسبّح له؟ فيكون هذا الكلام نائبا مناب الجمل الثلاث: الأولى: يسبِّح له، والثانـية: الجملة المدلول عليها برجال وهي: من يسبِّح له، والثالثة: رجال مع المقدر، وهي: يسبِّح له رجال، بخلافه إذا قيل يسبِّح بالكسر.[2]

---

[1] / سورة النور / 36 .

[2] / تنظر الرسالة ص54.

السمة الثانية: تناوله القراءات القرآنية بالتخريج.

في الآيات التي تعددت فيها القراءات القرآنية نجده يتعرض لها بالإعراب والتخريج لكــل قراءة مقويا وداعما لما يراه صحيحا، فنراه في قوله تعالى:﴿ هَذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ [1] يجوز الرفع في شيخ من خمسة أوجه:

أحدهما: أن يجعل بدلا من بعلي، كأنك قلت: هذا بعلي شيخٌ.

الثاني : أن يجعل بعلي بدلا من هذا، وشيخ: خبر المبتدأ.

الــثالث : أن يكــون بعلــي وشــيخ خبرين عن هذا، على نحو: هذا حلو حامض، كمايقول: جامع الطعمين

الرابع : أن يكون بعلي عطف بيان عن هذا، وشيخ خبر المبتدأ.

الخــامس: أن يكــون خبــرا لمبتدأ محذوف وهو:هو. أي: هو شيخ.ويقل الكلام على القــراءة التي يرى أنها لم تقم على دليل قوى من دون أن يتعرض لها بأي نقد لا يتناسب مع قدســية القــرآن كما يفعل في وصف آراء النحاة التي لا تتماشى مع ما يراه صوابا، أما مع القراءات التي لم يُقوِّها ولم يضعفها فنراه قد خرج وجوهها من غير تقوية ولا إضعاف، فقال فــي قوله تعالى: قوله: ﴿ إِلاَّ مَنْ رَحِمَ[2]﴾ فمن رحمه الله فهو معصوم، والمعصوم ليس من جنس العاصم، كأنه قيل: ولكنَّ من رحمه الله تعالى فهو معصوم كذا قال المصنف.

ومــنهم من جعل هذا الاستثناء متصلا بأن جعل عاصما على معنى النسب، كــ:لاَبِنٍ وتَامِــرٍ ورفــع مــن رحم، والتقدير: لا معصوم من أمر الله إلا من رحم، إذ المعصوم وذو العصمة واحد، ولا شبهة في أن من رحم الله فهو من جنس المعصوم[3].

السمة الثالثة: حمل القرءات على اللغة الفصيحة.

ويظهــر لنا توقيره للقراءات حيت يحملها دائما على اللغة الفصيحة، ومن أمثلة ذلك قــوله فــي معرض حديثه عن (لا) العاملة عمل ليس من قوله تعالى﴿وَلاَتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ [4]

---

[1] / سورة هود /71.

[2] / سورة هود /43 .

[3] تنظر الرسالة ص374.

[4] / سورة / ص/2 .

قـــال: وقـــيل: الـــتاء داخلة على حين، والحجة أنها متصلة بـــ:حين في الإمام[1]، ويجعل هذا القائـــل الحين والتحين لغتين، فعلى هذا تكون لا النافية، للجنس لكنا نقول: إن ذلك ليس مما يحتج به، فكم من شيء وقع في المصحف وهو خارج عن قياس الخط ، فلعل هذا من ذاك.

وأمـــا قـــوله التحين لغة: فالجواب أن الفصيح هو الحين بدون التاء، فيجب حمل ما جاء في التنزيل على اللغة الفصيحة[2]

ثانيا: الشواهد من الحديث الشريف.

استشـــهد الجندي بثلاثة أحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، واستشهاد بهذا العدد من الأحاديث في هذا الجزء من الكتاب، والذي هو واحد من أربعة أجزاء، يعتبر نسبة عالـــية للاستشـــهاد بالحديث، فالجندي فتح الباب على مصرعيه مخالفا بذلك من يرون عدم جواز الاستشهاد بالحديث ، وحجتهم في ذلك أن الحديث نقل بالمعنى.

فمن الأحاديث التي استشهد بها:

1. حـــديث رســـول الله صلى الله عليه وسلم{ وحفت الجنة بالمكاره}حيث استشهد به على شرح قول الزمخشري(محمد المحفوف) أي المحاط بالقبائل العظيمة.[3]
2. قـــوله صـــلى الله عليه وسلم{ ليس من امبر امصيام في امسفر} على إبدال الميم مكان اللامعلى أن ذلك لغة طائية.[4]
3. قـــوله صـــلى الله عليه وسلم{ عليك بذات الدين ثربت يداك} على انه دعاء للمدعو له وليس دعاء عليه.[5]

ثالثا : الشواهد الشعرية.

بما أن الإقليد كتاب قائم على شرح كتاب فهذا يعني أن الشواهد فيه تكون على قسمين:

---

[1] / أي في المصحف العثماني.

[2] /تنظر الرسالةص 419.

[3] / الرسالة ص 42.

[4] /تنظر الرسالة ص73.

[5] /تنظر الرسالة ص402.

القسم الأول شواهد الكتاب المشروح، وهو كتاب المفصل، وهذه لا يد للجندي في وضعها.

القسم الثاني: الشواهد التي أتى بها الجندي في كتابه الإقليد.

فمنهجه في تناوله لأبيات المفصل فإنه يتعرض للبيت بذكر كلمة منه ويسوقها في وسط الكلام بدون تنبيه أحيانا مما يجعل التعرف على الشاهد لغير عالم به صعب المنال، ثم يتعرض لمفردات البيت ويشرح معناه وقائله، وفي بعض الأحيان مناسبته، ثم رواياته المتعددة إذا كانت له روايات متعددة، وذكر وجوه إعرابه، وإذا كان الزمخشري لم يتم البيت فكثيرا ما كان يقول وتمامه، ثم يذكر بقية البيت.

أما النوع الثاني من الشواهد وهي الأبيات التي أتى بها الجندي، فكثيرا ما كان الجندي يذكرها بدون عزو إلى قائليها في الأغلب، وفي مرات لا تكاد تعد يشير إلى موضعه في كتب أمَّات النحو فيقول: كبيت الكتاب، أو: وفي بيت الحماسة، أو: وفي سقط الزند.

أما من ناحية طبقات الشعراء الذين استشهد بهم، فمن المعلوم أن النحاة قسموا الشعراء المستشهد بشعرهم إلى أربع طبقات: الجاهليين، والإسلاميين، والمخضرمين، والمولدين، فاستحسنوا الاستشهاد بشعر شعراء الطبقات الثلاث الأولى، واستبعدوا الطبقة الرابعة لعدم وثوقهم بسلامة لغتهم.

أما الجندي فقد استشهد بشعراء الطبقة الأولى مثل:امرئ القيس، وطرفة، وزهير، وعلقمة، والأعشى ، وعمرو بن كلثوم، وعنترة، وحاتم، والحارث بن حلزة. واستشهد بشعراء الطبقة الثانية مثل: لبيد، وكعب، والخنساء، وحسان. واستشهد بشعراء الطبقة الثالثة مثل، الفرزدق، وابن ميادة، وابن هرمة، والعجاج، وابنه رؤبة، وطفيل الغنوي، وذي الرمة. واستشهد بشعراء الطبقة الرابعة، مثل ابن الرومي ، وأبي فراس الحمداني، والمتنبي، وأبي نواس، والأبيوري، ولذا فإننا نرى أن الجندي فتح الباب على مصراعيه في الاستشهاد متى ما وجد ضالته في بيت شعر واستقامت له عربيته.

المحور الخامس: انتمائه للمدارس النحوية.

هويَّة الجندي في كتابه: كان بصريا متمسكا مدافعا ومهاجما كل من يخالف المذهب البصري، فنزعته البصرية كانت حاضرة معه في كل قضية يناقشها، حيث كان كثيرا ما

يصف البصريين بقوله:أصحابنا.[1] وإليك عدداً من المسائل التي ناقشها الجندي وظهرت فيها نزعته واضحة:

1. مسألة تفريق البصريين بين إن وإذا المجازاة بها.[2]
2. القول في اشتقاق الاسم.[3]
3. القول في إعراب الأسماء الستة.[4]
4. القول في أي العاملين أولى بالإعمال في باب التنازع.[5]
5. القول في رافع الخبر والمبتدأ.[6]
6. القول في الأصل في الاشتقاق أهو من الاسم أم من الفعل.[7]
7. القول في التاء في يا أبت المنادى.[8]
8. القول في ميم اللهم أهي عوض عن حرف النداء أم لا.[9]

فنـــرى الجـــندي في كل هذه المواضع يؤيد البصريين تأييدا مطلقا، ثم يبالغ في الرد على الكوفيين ويسفه آراءهم، وأحيانا ينعت مذهبهم بعبارات قاسية.

---

[1] تنظر الرسالة ص: 141، 119، 172، 201

[2] /تنظر الرسالة ص55.

[3] /تنظر الرسالة ص66.

[4] /تنظر الرسالة ص 116.

[5] / تنظر الرسالة ص 155.

[6] / تنظر الرسالة ص 172.

[7] / تنظر الرسالة ص 212.

[8] / تنظر الرسالة ص 274.

[9] /تنظر الرسالة ص 282.